

الجهود النحوية لعبد السلام المسدي في ضوء كتابه (العربية والإعراب)

. دراسة في المنهج والتأصيل .

*The grammatical efforts of Abdul Salam Al-Masadi in the light of his book
(arabic and Expression)*

— a study in curriculum and rooting

لعربي سعاد / طالبة دكتوراه،
أ.د. أمودي مرسعي.

قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة الحاج لخضر- باتنة 01 (الجزائر).

مخبر الموسوعة الجزائرية، جامعة باتنة.

souadlaribi05@gmail.com

تاريخ القبول: 2019/12/01

تاريخ الإيداع: 2019/10/20

ملخص:

نروم من خلال هذه الدراسة إلى الوقوف على الجهود النحوية لعبد السلام المسدي، من خلال تأصيله لقضايا نحوية في ضوء كتابه (العربية والإعراب)، وفق منهج إعادة قراءة التراث فمرجعياته الفكرية تكمن في الجمع بين تليد التراث ومعاصرة الدرس اللساني (اللسانيات)، فلقد تعامل مع التراث وفق أحدث النظريات اللغوية الحديثة، بمعنى أنه عمل على وصل التراث بالحداثة، فتتقبيه في التراث جعله حيا جديدا، وموصولا بما هو حديث، كما أن تنقيبه أظهر لنا أن بعض ما جاء في أحدث النظريات اللغوية الحديثة له جذور ضاربة في تراثنا اللغوي العربي، وبذلك استطاع رد الاعتبار للدراسات اللغوية العربية القديمة، فاستكشف كثيرا من أسرارها الخفية، ووقف عند عدد من نواميسها العامة فجاءت محاولته لتأصيله للقضايا النحوية بمثابة بادرة تأسيس لحاضر مستقبلي ذي أوصل حضارية منتقاة من الزخم المصدري الثابت في وجدان عالمنا اللغوي العربي العريق.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات؛ التراث؛ قضايا نحوية؛ منهج؛ تأصيل.

Abstract:

The aim of this study is to identify the grammatical efforts of Abdul Salam Al massadi, by rooting grammatical issues in the light of the book (Arabic and expression) according to the method of rereading heritage, his intellectual authority lies in combining heritage with the linguistic lesson (Linguistics), he dealt with heritage according to the latest modern linguistic theories ; In other words, he worked to link heritage to modernity, his reading of the heritage made him alive, and connected to what is modern, the reading of their texts showed us that what is stated in the latest modern linguistic theories has deep roots in our Arabic linguistic heritage , thus, he was able to rehabilitate the ancient Arabic language studies , he explored a lot of her hidden secrets , and stop at a number of its general laws, his attempt to root him in grammatical issues came as a gesture for the establishment of a future present with a cultural continuum selected from the steady source of momentum in the minds of our ancient Arab linguistic world.

key words linguistics; heritage; grammatical issues; method; rooting.

1 مقدمة

لقد كثرت الحديث عن طبيعة العلاقة بين النحو العربي واللسانيات الحديثة في الآونة الأخيرة، لكون النحو العربي مصدر الأصالة، أما اللسانيات فهي منبع الحداثة، فظهرت ثنائية الموروث والحداثة في مجال اللغة وأصبح موضوع علاقة التراث اللغوي العربي باللسانيات يشغل بال الكثير من اللغويين المحدثين. ولقد استهدف عبد السلام المسدي دراسة جوهر اللغة العربية "الإعراب" في ضوء التقدم اللساني الحديث فيقول "النحو واللسانيات يقفان على مصادرتين لا تتماهيان ولا تتراضان، فليس الإقرار بإحدهما بمقتضى إلغاء الأخرى، وبناء على ذلك تيسر تناول اللغة بدرسها من خلال المنظورين سواء بالتعاقب أو بالتوافق"¹.

والمتتبع لمشهد الدرس اللساني العربي الحديث بتصور عام يلحظ أنه مقسم إلى ثلاث فرق من الباحثين والمهتمين²:

أولاً: هناك فريق أخذ النحو العربي دراسة وتفصيلاً، وذلك باسم المحافظة على الموروث، وهو تيار متمسك بكل ما ورد في النحو العربي ورافض لكل ما يقدمه الدرس اللساني الحديث، ويتمثل هذا التيار في مجموعة من الباحثين الذين حاولوا إيجاد صيغة لغوية تنطلق من الموروث اللغوي العربي لا من معطيات علم اللسان الحديث

ثانياً: هناك فريق أخذ تفصيل القول في أحد التيارات اللسانية الحديثة، وذلك باسم التفتح والترحيب بكل ما هو جديد، وهو تيار لساني عربي متخصص في الموروث اللغوي النحوي. لكنهم قرأوا عن اللسانيات وتثقفوا وفتنوا بها مجازة لموضة العصر الحديث فقدموا أنفسهم بوصفيين لسانيين.

ثالثاً: ذهب فريق ثالث إلى التوسط بينهما فدرس أوجه التشابه والاختلاف بين النظرية النحوية العربية والنظريات اللسانية الحديثة وحاول هذا التيار إظهار مواضع التلاق والتناظر بين النحو العربي واللسانيات الحديثة في مختلف صورها (اللسانيات البنيوية واللسانيات التوليدية التحويلية... الخ)؛ إنه فريق قام على فكرة الربط بين جهود العرب القدماء في دراسة النحو العربي والنظريات اللغوية الحديثة، وذلك بتتبع القضايا المعاصرة في اللسانيات خصوصاً، ومحاولة إسقاط هذه المفاهيم على جهود القدامى العرب للوصول إلى حقيقة مفادها أن التراث العربي القديم في مجال اللسانيات مليء بكثير من المفاهيم التي سبقوا فيها الغربيين بشكل واضح ومنهجي، وهذا ما نلقيه عند الباحث اللغوي عبد السلام المسدي في ضوء كتابه (العربية والإعراب). ففي هذا الكتاب يتناول مسائل نحوية كثيرة أصل لها في التراث اللغوي العربي، وبذلك استطاع رد الاعتبار للدراسات النحوية العربية القديمة، فاستكشف كثيراً من أسرارها الخفية، ووقف عند عدد من نواميسها العامة فجاءت محاولته لتأصيله للقضايا النحوية بمثابة بادرة تأسيس لحاضر مستقبلي ذي أواصل حضارية منتقاة من الزخم المصدري الثابت في وجدان عالمنا اللغوي العربي العريق. بناء على ذلك سنحاول الإجابة في هذه الورقة البحثية على عدة إشكالات جوهرية أبرزها: ما القضايا النحوية التي أصل لها عبد السلام المسدي في كتابه (العربية والإعراب). ما نظرة المسدي للتراث النحوي العربي هل هو إرث مقدس يفرض علينا الحفاظ عليه لما له من صلة وطيدة بالقرآن الذي إليه المرجع في الدين واللغة؟ أم أنه ثروة ثرية متجددة لا ينضب ماؤها ولا تجذب أرضها؟ ما هو المنهج الذي تبناه في تأصيله لهذه القضايا النحوية؟ ما الغاية المتوخاة من عملية القراءة المجردة في نظر عبد السلام المسدي؟.

2 اللسانيات علم قيادي من منظور المسدي

إن هذا العلم الذي يطلق عليه بعلم اللسانيات الحديث يعد المنبع الأول لمختلف الحقول المعرفية، وقد جاء مرسياً قواعد البحث العلمي وقواعد البحث الموضوعي فيما يتصل بالكلام البشري عامة، ولذلك عدّه المسدي علماً رائداً بين العلوم الإنسانية وأوسعها مجالاً ليس بالنسبة إلى ما قدمه هذا العلم من معارف فقط، ولكن أيضاً بالنسبة إلى ما استفادته العلوم الإنسانية الأخرى بتطبيقها لمناهجها على أبحاثها، ونلقيه يقول في هذا السياق معرجاً على

اللسانيات باعتباره علم قيادي" ومن المعلوم أن اللسانيات قد أصبحت مركز الاستقطاب بلا منازع، فكل تلك العلوم تلتجئ في مناهج بحثها وفي تقدير حصيلتها العلمية إلى اللسانيات وإلى ما تنتجه من تقديرات علمية وطرائق الاستخلاص³، "وبفضل اكتمال التصور العام لديها لدراسة اللغة أصبحت تحتل موقعا مركزيا داخل العلوم الإنسانية، الشيء الذي جعلها تفرض عليها نموذجا تحليلي ومعجمها المفهومي"⁴، ولقد لخص "المسدي" هذه الحقيقة في عبارة (اللسانيات علم قيادي)؛ أي أنها في مقدمة العلوم المتقدمة بحيثيات الإنسان والتي تقودها نحو العلمية والموضوعية بشكل تنتجها لتكون في مصاف العلوم التجريبية الدقيقة.

3 خصوصية التاركة اللغوية التراثية عند المسدي

إن المتأمل بإمعان في التاركة اللغوية التراثية، أو ما يسميه عبد القادر الفاسي الفهري بـ "لسانيات المتون"⁵ فإنه سيندهش لهذا التراكم الثقافي والعلمي والفلسفي والفقهية العظيم وربما أعظم مما عند غير العرب، فقد بين المسدي أن هذا التراث العربي جاء ثمرة مخاض فكري متنوع استطال على مدى تسعة قرون زاهية من الموارث الإنسانية المهيأة مبدئيا لعملية التفاعل المعرفي الخصيب، وذلك عن طريق إجراء القراءة العصرية الواعية، فأن يهتم رواد اللسانيات العامة في عصرنا الحديث بمضمون الفكر اللغوي العربي فذلك امتثال لعوامل ثلاثة⁶:

- التغافل عنه يفضي إلى حصول انخرام في سلسلة التأريخ للتفكير اللغوي عبر الحضارات اللسانية وهذا مما يعطل كل محاولة تأصيلية عند تأسيس حركة العلم ونقد مقرراته.
- وثانها أن رواد الحضارة العربية بعد أن فكروا في لغتهم النوعية واستنبطوا منظومتها العامة، فحدودوا فروع دراستها بتصنيف علوم اللسان العربي وتبويب محاورها نحو وصرفا وأصواتا وبلاغة، تطرقوا إلى التفكير في اللغة من حيث هي ظاهرة كونية، فاستكشفوا كثيرا من أسرارها الخفية، ففكروا في نوااميسها العامة ودونوا عصارة تفكيرهم دون أن يكونوا متقيدين بنحو أو صرف.
- أما ثالث الأسباب، فيتمثل في أن التراث العربي يتعين اتخاذ ملكا إنسانيا يحمل رصيда مشاعا ويفوض حقا مطلقا، لأنه في ذاته عمق إنساني على مستوى التاريخ الشامل، وقد تسنى له اكتساب هذه الخصوصية بفضل توفقه في تحقيق معادلته التاريخية العسيرة؛ فقد انبنى على استيعاب الروافد السابقة له إذ قد أفاد من كل

ما توفر لديه عندئذ من مناهل التراث الإنساني، تمثل ثمار الموارث الهندية والفارسية واليونانية، فكان حلقة تواصل وامتداد على مسار الحضارة الإنسانية، ولكنه انبنى أيضا على مبدأ الخصوصية، إذ تفرد بشمائل نوعية، فلم يكن مجرد قناة تسلكها المضامين الفكرية السالفة، وإنما اتخذ من الوافد عليه مادة تمثل ومصاهرة حقق بهما ميزة التجاوز بعد الإفادة .

4منهج المسدي في العودة إلى أصول التراث

يرى عبد السلام المسدي أن "قراءة التراث منهج لا يعوزه التأسيس المعرفي في حد ذاته ... وإعادة قراءته تجديد لتفكيك رسالته عبر الزمن، وهي بذلك إثبات لديمومته ووجوده، ولكن إثبات الديمومة لا يقف عند حد تمجيد الماضي فحسب، إذ يحتاج إلى بناء مؤسس يناسب الحاضر والمستقبل لدفع البحث اللساني العربي منهجيا ونظريا"⁷

لقد أعطى عبد السلام المسدي رؤية واضحة للبحث اللساني العربي الحديث، وأدرك بأنه بحاجة إلى تصحيح مساره بأن يفتح الدارسون على عطاءات الدرس الغربي في مختلف اتجاهاته، دون الغفلة عن المنجز من التراث العربي الذي لا يحتاج إلى المراجعة والغفلة ليكون قاعدة انطلاق في بناء نظرية لسانية عربية معاصرة " والذي زاد بعض اللسانيين المعاصرين تشبثا بمنهج المعاودة إنما اليقين الجازم بأن إحياء التراث وإغنائه عن طريق المقولات اللسانية المعاصرة ومتصوراتها الإجرائية كثيرا ما يصحبه إخصاب للمعرفة اللغوية الحديثة نفسها عن طريق ابتعاث المخزون التراثي الأصيل، وذلك كلما وجد القارئ المقتدر على تحقيق التوازن في المعادلة الصعبة بين الحداثة والتراث"⁸.

لقد أصبحت عملية القراءة المجردة، أو كما يطلق عليها إعادة قراءة التراث اللغوي العربي في نظر عبد السلام المسدي موقفا حضاريا يتلخص غرضه في:

- إحياء التراث اللغوي العربي والكشف عن معالم نبوعه ووجهاته.
- الرغبة في مواكبة مقتضيات الحداثة .
- تأسيس لحاضر مستقبلي ذي أوصل حضارية منتقاة من الزخم المصدري الثابت في وجدان عالمنا اللغوي العربي العريق.

فدراسة التراث، وإعادة قراءته في ضوء المناهج العلمية اللسانية الحديثة فيه تنمية للشعور بالانتماء، فبين الإنسان وتراثه علاقات نسب ووشائج قري تشده دائما وأبدا إلى ينباع الأولى والذات دائما تلجأ إلى البحث عن جذورها متأصلة كلما أحست أن هناك ما يحدد كيافها.

5التعريف بالمدونة (كتاب العربية والإعراب) والهدف منها:

إن هذا الكتاب الموسوم ب(العربية والإعراب) للمسدي، لقد كان سعيًا منه لسدّ الفجوة التي توهّمها جيلٌ كامل ممّن تعاملوا مع "علم اللغة" من حيث هو بديل مكافئ لـ"فقه اللغة"، وقد ساد هذا التناول في البيئة العربية من 1941 إلى سبعينيات القرن العشرين، وكان ذلك سمة طاغية على جيل المدرسة "المصرية". ويتمثل مسعاه في تأسيس القواعد الضرورية لإجراء الدرس المقارن بين اللغة العربية واللغات الأجنبية السائدة: الإنجليزية والفرنسية والألمانية. وعلى هذا الأساس كان من الضروريّ التذكير بطبائع الألسنة، فالعربية لغة اشتقاقية والأخريات لغات انضمامية والعربية لغة تعتمد الإعراب والأخريات تخلّت عن الإعراب الذي كان سمة للغة الأصلية وهي اللاتينية. وحيث إن استقراء الظواهر التاريخية يؤكّد نزوع اللغات الإعرابية (من لاتينية وجرمانية قديمة، ويونانية قديمة) نحو الانقلاب إلى لغات غير إعرابية فإن هذا القانون يسري على العربية أيضا إذا نظرنا إلى الألسنة المنحدرة منها وهي اللهجات العامية جميعها، ولذلك فبقاء العربية الفصحى أودوامها يبدو كأنه مناقض لقانون التطور التاريخي، وإذا كان السبب الجوهرى مرتبطا بالعتيدة وكتافها المقدّس فإن المسدي أراد أن يؤكّد على أبعاد أخرى هي في مجملها نفسية اجتماعية سياسية، ولكنها أيضا (لسانية/ معرفية) إذ تظلّ العربية الفصحى عندئذ شاهدا حيا على هذا الأنموذج اللغوي. كلّ ذلك تناوله بمقاربة علمية خالصة تاركا جانبًا المقومات الدينية والروحية، وذلك احترامًا للمنهج العلمي؛ لا نكرانا لتلك العوامل ولا زهدًا في قيمتها، وهذا ما لمسناه في القضايا المهمة، التي طرحها هذا الكاتب وأصل لها في التراث اللغوي العربي في كتابه (العربية والإعراب).

6تأصيل قضايا نحوية في ضوء كتابه العربية والإعراب

إن عبد السلام المسدي لم ينكر فضل المحدثين في الإتيان بنظام جديد لدرس اللغة عامة والنحو خاصة، لكن النظرة اليسيرة إلى هذا الوافد الجديد تؤكد أنهم لم يزدوا عما ذكره الأوائل شيئا سوى التنسيق والتنميق، فأما حقيقة البحث وجوهره بحسب رأيه، فهو قديم متأصل في القدم مأخوذ من أربابه من عباقرة اللغويين الأوائل، وهذا ما سنلمسه في بعض القضايا النحوية التي أصل لها في كتابه (العربية والإعراب).

1.6. البنية العميقة والبنية السطحية:

لقد احتلت البنية العميقة مكانة الصدارة في نظرية تشومسكي " ولقد شكلت الأساس الأنموذجي فيها لامتلاكها العناصر الضرورية لتأويل الجمل وإنتاج البنيات السطحية لها"⁹، فالبنية العميقة هي "بمثابة الأساس الذهني المجرد لمعنى معين الموجود في الذهن، ويرتبط بتركيب جملي أصولي يكون هذا التركيب رمزا لذلك المعنى وتجسيدا له، وهي النواة التي لا بد منها لفهم الجملة ولتحديد معناها الدلالي، وإن لم تكن ظاهرة فيها"¹⁰، أما البنية السطحية "فتمثل الجملة كما هي مستعملة في عملية التواصل أي في شكلها الفيزيائي بوصفها مجموعة من الأصوات والرموز.

وإذا أردنا أن نتقل إلى الدرس اللساني في التراث العربي القديم لنفتش عن وعود هذا التمييز بين البنية السطحية والبنية العميقة للجمل والتراكيب النحوية، فإن أول ما نبحت عنه هو إمكانية وجود دلائل تحيلنا إلى وجود هذا النمط من التفكير عند القدماء.

لقد انطلق المسدي في دراسته التأصيلية للتراث اللغوي العربي من تمحيص عميق لما وصلنا منه، فقد استغرق النظر ومحاولة فهم القضايا النحوية التي تركها الأولون، تتبع فيها آراء سيبويه والجرجاني وأتباعهما من الرعيل الأول من النحاة¹¹

وفي تأصيله للمسائل النحوية في التراث العربي بين وجه الأصالة عند العرب، فهو من أكثر اللسانيين العرب المحذنين انتصارا لما قدمه النحاة الأوائل وعلى رأسهم الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه والجرجاني فالمسدي وهو يؤصل للبنية العميقة في التراث يقول: "وهكذا بوسعنا أن نقول أن تفسير البنية العميقة من خلال مقولات النحو العربي ولاسيما في ثالثه الإعراب، فالعمل، فالتقدير تحكمه آلية جديدة سنطلق عليها استقراء المرحلة الجنينية لتركيب الكلام، فيكون النحو في مجمله ضربا من إعادة التصوير لعملية إنتاج الكلام، ويكون تبعا لذلك ضربا من تتبع المراحل التي مر بها إنتاج الدلالة"¹²، فالتوليدية التحويلية تذهب إلى أن "البنية العميقة وإن لم تكن ظاهرة في الكلام إلى حد كبير أساسية لفهمه وإعطائه التفسير الدلالي"¹³ فهي "حقيقة ضمنية قائمة في ذهن المتكلم المستمع المثالي"¹⁴.

وما تجدر الإشارة إليه أن النحاة العرب لم يستعملوا المصطلحين (العميق، والسطحي)، فقد كان التعبير عنهما ضمنيا وبطرائق مختلفة تصب كلها في قضية أخذت بعدا كبيرا عندهم وهي مسألة التقدير والتأويل، هذه القضية التي تعد من أبرز قضايا التراث اللغوي التي تناولها المسدي بالدراسة والتحليل التي يحاول فيها بيان مدى الفهم اللغوي المتطور عند علماء التراث

من خلال آرائهم اللغوية في هذه القضية، ومحاولا ربط هذه الآراء بالنظرية التوليدية التحولية ممثلة برائدها تشومسكي "فمعظم الخلافات بين النحاة كانت حول تقدير البنية العميقة للأبنية السطحية، وكان يصب في تقدير مالا وجود له ظاهريا في محاولة لتفسير الكثير من الأبنية الملبسة، فكانوا يتجاوزون في كثير من الأحيان الوقوف على ظاهر الجمل فيبحثون عما وراء هذا الظاهر من ألفاظ وكلمات قائمة في ذهن المتكلم وإن لم يتلفظ بها إيمانا منهم بأن الوقوف عند ظاهر اللغة السطحي لا يكشف عن جوهرها"¹⁵ الذي يجسد العمق الخفي.

ومن مظاهر ذلك في التراث النحوي ما جاء في "هذا باب ما يكون المبتدأ فيه مضمرا ويكون المبني عليه مظهرا، وذلك أنك رأيت صورة شخص، فصار آية لك على معرفة الشخص، فقلت عبد الله وربي فكأنك قلت: ذاك عبد الله، أو هذا عبد الله"¹⁶.

فجملة (عبد الله وربي) هي التركيب الظاهر، والتركيب العميق المقصود هو (ذاك عبد الله) كما قدره إمام النحاة سيويه، فالبنية العميقة والسطحية في نحونا العربي ما هي إلا ظاهرة التقدير والتأويل للمعنى ولتوضيح معنى البنية العميقة والسطحية بشكل مبسط نورد المثال الآتي: "عندما نقول مثلا: زيد جاء؛ فالفاعل الحقيقي هنا مستتر فهو بنية عميقة؛ أي أن الفاعل مقدر وباطني، وعندما نقول: جاء زيد، فهنا زيد فاعل حقيقي فهو بنية سطحية ظاهرة، أي أن الفاعل ظاهر. فهنا حاول تشومسكي أن يبرهن للإنكليز مثلا: أن زيدا جاء الفاعل وهذا ما يسميه بالبنية العميقة والسطحية في النحو الإنجليزي."¹⁷

أما عبد القاهر الجرجاني حينما تطرق للبنية العميقة، تناولها من حيث هي بنية ذات قابلية على أن تكون لها أكثر من بنية سطحية وذلك حين تحدث عن التمييز، فالتمييز هو "الاسم المنصوب المفسر لما انهم من الذوات"¹⁸، ففي قوله تعالى: "اشتعل الرأس شيبا"¹⁹، هنا محول عن الفاعل، يقول "وذلك أنا تعلم أن (اشتعل) للشيب في المعنى، وإن كان هو للرأس في اللفظ، كما أن (طاب) للنفس، و(قر) للعين و(تصبب) للعرق وإن أسند إلى ما أسند إليه يبين أن الشرف كان لأن سلك فيه هذا المسلك"²⁰، فاشتعل الرأس شيبا، فهذه بنية ظاهرية، وتقابلها البنية العميقة (اشتعل شيب الرأس)، والقواعد التحويلية أن يسلك بالكلام طريق ما يسند الفعل فيه إلى الشيء وهو لما هو سببه فيرفع به ما يسند إليه ويؤتي بذلك الفعل له في المعنى منصوبا بعده.

6.2 الإفصاح والوظيفة الإنتباهية:

لقد أدرك عبد السلام المسدي أهمية الوظائف الستة وتحدث عن منظومة جهاز التواصل بأطرافه الستة ، و بالوظائف المنبثقة منها كما جلاها رومان جاكبسون ، حيث شاء أن يدقق منزلة الكلام الإبداعي ضمن منازل الخطاب عامة ، ونلفيه في هذا السياق وهو يتحدث عن الوظائف الستة يقول: "... فإذا كانت الوظيفة التعبيرية تنبثق عن المرسل كلما تركز الكلام عليه، وكانت الوظيفة الإفهامية تنبثق عن المرسل إليه، والوظيفة المرجعية تصدر عن المرجع المتحدث عنه، والوظيفة الانعكاسية تحيل على السنن المرتبة لقوانين نظم الكلام والوظيفة الشعرية تتولد عن تكثيف القصد الأدائي على الرسالة ذاتها، فإن الخطاب إذا ما تركز على أداة الاتصال المرتبطة بالمجال الموفر لاحتكاك الباث بالمتقبل، فالوظيفة المنبثقة عندئذ هي الوظيفة الانتباهية. ولذلك عرفها جاكبسون بأنها تتجسم في الحرص على إبقاء الصلة بين طرفي الجهاز أثناء التخاطب وفي مراقبة عملية الإبلاغ للتأكد من توفيقها"²¹

لقد حصر عبد السلام المسدي وظائف اللغة في ست وظائف، كما هي معروفة عند العالم اللساني رومان جاكبسون، وكل وظيفة من هذه الوظائف تحمل دلالة معينة، وهي كالآتي:²²

1 الوظيفة التعبيرية: وترتبط هذه الوظيفة بالمرسل المتكلم، وتعتبر بصفة مباشرة عن موقفه تجاه ما يتحدث عنه.

2 الوظيفة المرجعية أو الإحالية: وهي الوظيفة المتجهة نحو السياق التي تحدد العلاقات بين الرسالة والشيء الذي تحيل عليه.

3 الوظيفة التأثيرية أو الإفهامية: وتتجه نحو المرسل إليه، وتوجد في الجمل التي ينادي فيها المرسل المرسل إليه لإثارة انتباهه أو الطلب منه القيام بعمل، وبوساطتها يأخذ النص قيمته التداولية.

4 الوظيفة الميتالغوية: وتظهر هذه الوظيفة في الكتابات التي تكون اللغة مادة دراستها؛ أي التي تقوم بوصف اللغة وذكر عناصرها وبيان مفرداتها، وتتجلى هذه الوظيفة في اللغة الواصفة كلغة النحاة العرب مثلاً.

5 الوظيفة الانتباهية أو الاتصالية أو اللغوية (بفتح اللام): وتهدف إلى إقامة التواصل وتمديده أو فسخه وتوظف للتأكد مما إذا كانت دورة الكلام تشتغل (ألو تسمعي) " وتبدأ التحريات التي تدور حولها الوظيفة الانتباهية بالجوانب الحسية، من ذلك ما يحصل عند التخاطب على مسافة فيزيائية غير عادية، أو عند التحاور وسط صراخ بشري، أو على متن طائرة أو قاطرة أو داخل مصنع قوي الضجيج ومن ذلك ما يحصل عند المكالمات الهاتفية، أو عبر محطات

الإرسال الإذاعية أو التليفزيونية ...²³ فالهدف من هذه الوظيفة لفت انتباه المرسل إليه، والحفاظ على العملية الاتصالية وجعلها دائمة ومستمرة.

6 الوظيفة الشعرية: وهي التي تتصل بالنص نفسه بوصفه رسالة، فاللغة تقوم بوظيفة شعرية أو جمالية في حال إنتاج خطاب ذي دلالات داخلية؛ أي خطاب دال داخل نفسه.

لقد بين المسدي إن هذه الوظائف الستة التي كانت معروفة في الدرس اللساني الحديث لم تكن غريبة عن علماء الدرس اللغوي العربي القديم، "فالجاحظ مثلاً يخصص للوظيفة المرجعية أو الإخبارية صفحات طويلة يناقش فيها مفهوم خبر وإخبار"²⁴. ولا مرأ في ذلك ما دام هذا المفهوم كان كثيراً ما يتردد في أوساط المعنيين بعلم الكلام في عصره، وللوقوف على حقيقة ذلك يمكن أن نعرض لنصوص كلامه، فهو يقول: "لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه ولا حاجة أخيه وخليصه، ولا معنى شريكه المعاون له على أموره وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره، وإنما يحيي تلك المعاني ذكرهم لها وإخبارهم عنها واستعمالهم إياها"²⁵.

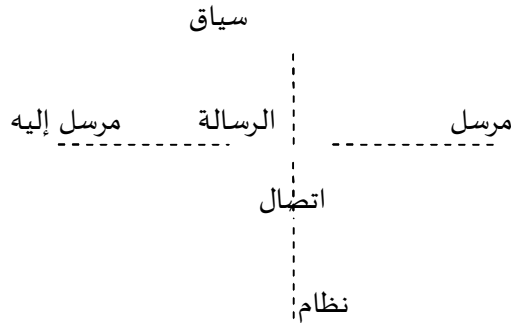
أما عن الوظيفة الميتالغوية، ووظيفة الاتصال، فلقد عبر عنه بمصطلح (الاستعانة)، فيقول في هذا السياق: "قلت له: لقد عرفت الإعادة والحبسة، فما الاستعانة؟ قال: أما تراه إذا تحدث، قال عند مقاطع كلامه يا هناء، ويا هذا ويا هيه، واسمع مني، واستمع إلي، وافهم عني أو لست تفهم أو لست تعقل"²⁶.

كما أن الجاحظ كان يستعمل مفهوم (التخير) و(التخير) كثيراً، وهذا المفهوم يدل على ضرورة اعتناء الكاتب باختيار الألفاظ ويمكن أن يقوم مقام ما اصطلاح عليه جاكبسون باسم الوظيفة الشعرية، فالجاحظ يبين هذه الوظيفة قائلاً: "ولا يحتاج في فساد البيان إلى أكثر من ترك التخير"²⁷، وهو هنا يقدم الوظيفة الشعرية على الوظيفة الإخبارية.

ومما يجدر التنبيه والإشارة إليه أن المسدي قد أعطى للوظيفة الانتباهية الاهتمام الأكبر على غرار الوظائف الأخرى، فالوظيفة الانتباهية أو الاتصالية كما يطلق عليها تعمل على تنبيه المتلقي حتى يبقى على الاتصال وذلك من خلال أدوات التنبيه وهذا النوع من الاتصال يسعى بالاتصال اللفظي "ويندرج ضمن هذا النوع كل ما يستخدم فيه اللفظ كوسيلة لنقل رسالة من الباث إلى المتلقي، وحينما نتحدث عن اللفظ هنا فإننا نقصد اللغة المنطوقة، إذ أن المتلقي يدرك هذا اللفظ بحاسة السمع في حالة كونه صورة سمعية... ومن الأمثلة التي تستخدم فيها اللغة اللفظية: المحاضرات والمناظرات والمؤتمرات والمقابلات الاجتماعية وكل تجمع يكون فيه خطاب معين"²⁸. وتندرج الوظيفة الانتباهية لتدخل إلى شقائق الكلام،

فيندرج فيها ما يأتي فيه من تكرار أو تأكيد أو إطناب أو جمل تفسيرية ، وجميعها جزء لا ينفصل عن جسد الرسالة، ومن هذا الباب ما يعتمد إليه الخطباء والمحاضرون والباحثون على منصات الإلقاء عندما يقدمون ورقاتهم، فالخبراء منهم بآليات التواصل يتحاشون قراءة الصفحات ويتوسلون بالمحاور، فإذا بهم وجها لوجه أمام الوظيفة الإنتباهية بكل كثافتها وبكل غزارتها، والمفلحون منهم من يوفقون إلى المقاصد يأتونها من حيث توثى²⁹

لقد بين المسدي بأن التواصل من أهم الوظائف اللغوية التي نادى بها رومان جاكبسون فاقتربت التواصلية باسمه مستفيدا مما أفرزه العلم الحديث عامة وتراث سوسير خاصة: " فرومان جاكبسون يتكئ على النتائج التي توصل إليها علم الاتصال المتمثلة في أبحاث المهندس الأمريكي (شانون) المختص بمجال التلغراف والاتصال ليفرز لنا معنى جديدا للتواصل وهو إيصال المعلومات بوساطة المرسلات عبر أشكال متنوعة كالموجات الصوتية والذبذبات الكهربائية والأشكال البصرية في الرسالة الخطية"³⁰ ، فالتواصل عنده يأخذ بعدا منظما ، ففي الوقت الذي يتجاهل فيه سوسير البعد التبليغي في مخططة ، نجد جاكبسون معتنيا به اعتناء كبيرا في نظرية التواصل عنده، فكل تواصل كلامي لا بد له من توافر عوامل في إنجاحه ، كما يوضحها الرسم الآتي³¹:



فالمرسل يعد مصدر الرسالة، والمرسل إليه هو من يقوم بفك رموز الرسالة وفهم مقصود المرسل، ويتم ذلك ضمن (سياق) ترد إليه، ثم تأخذ المرسل نظاما مشتركا بين المرسل والمرسل إليه، ثم لا بد من وجود قناة اتصال بينهما لإقامة التواصل والحفاظ على ديمومته. " لقد عرف الأنموذج الذي عرضه جاكبسون بديناميكية التواصل وتبناه من جاء بعده ممن سار في الاتجاه الوظيفي، أمثال داتيس وسغال، فصورا العملية التواصلية على أنها حركة ديناميكية مستمرة تحمل بنية اللغة أثارها الواضحة"³².

لقد تنبه العرب القدامى على ديناميكية التواصل اللغوي الخاصة بالوظيفة الاتصالية (الإنشائية) عبر تعريفهم للغة، فكانوا يتبنون السمة الجماعية في عرضهم لقضايا لغوية موضحين الغاية من وجود اللغة ألا وهي الاتصال والايصال معا.

وقد لاحظنا التأكيد على السمة التواصلية للغة عند ابن جني في تعريفه للغة حين أعطاها سمة جماعية، فلا تكون اللغة لغة إلا إذا توافر فيها ملق ومتلق، وتكون صالحة للتعبير عن الأغراض على وجه الاستمرارية يقول ابن جني في تعريفه للغة: "أما حدها: فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"³³.

إن رأي ابن جني هذا يوافق ما ذهب إليه علم اللغة الحديث الذي ينظر إلى عملية الاتصال اللغوي "على أنها الوظيفة الأساسية الكبرى للغات البشر، إذ لاحظنا أنها تتمثل في نقل رسالة من مرسل يرسلها إلى مستقبل كما عن طريق قناة أو ناقل أو وسط في حالة الاتصال الشفهي بشرط وجود طرفي الاتصال المتكلم والمتلقي"³⁴.

لقد بين المسدي بأن نظرية التواصل تأخذ بعدا أكثر وضوحا عند البلاغيين، فعند تعريفهم للبلاغة والبيان يركزون في مسألة التواصل بين المتكلم والمستمع بشكل واضح يقول ابن المقفع (ت131هـ) معرفاً للبلاغة بأنها "اسم لمعان تجري في وجه كثيرة منها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الاستماع... ومنها ما يكون خطاباً"³⁵، فهو هنا يركز على السامع والمتكلم معا، لأنهما يمثلان طرفي التواصل.

كما يظهر مفهوم التواصل في التراث من خلال الإبانة عن المعاني يقول الجاحظ: "والبيان اسم جامع لكل شيء، كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كأنما ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل لأن مداره الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحته عن المعاني فذلك هو البيان في ذلك الموضع"³⁶، فالجاحظ هنا من خلال كلامه على البيان يذكر خمسة عناصر للعملية التواصلية (المتكلم السامع وغرض كل منهما الفهم عن طريق اللغة، أما الشفرة أو الرمز، فهي ما يفهم من قوله (كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب)).

"وتحدث الجاحظ بصريح العبارة عن شروط البيان أو الاتصال، حتى يتحكم في استمالة المتلقي، وذلك أن البيان بحاجة إلى تمييز وسياسة وتنظيم وترتيب، وإلى تمام الآلة وإحكام

الصنعة، وإلى سهولة وبساطة المخرج، وجهارة المنطق وإتمام الحروف، وإقامة الوزن حتى تكون معاني جزلة ورائعة"³⁷.

و يقصد بالتمييز والسياسة أن يعمل الكاتب على إنتاج نصه ، والتحكم في مساراته، والتصرف فيه وإخراجه إلى نص جاهز محكم واف لكل المستويات التركيبية والدلالية والصوتية، حتى يحظى باستمالة القلوب، ولفت الانتباه باستحواذ فكره ليصل إلى الفهم والإفهام.

3.6 اللغة الإعرابية وإنتاج الدلالة:

إن استقراراً حصيفاً قادمًا لمدونات التراث تفضي بآبن جني إلى تبين وظيفة الإعراب بالقول:"
الإبانة عن المعاني بالألفاظ"³⁸

إن هذا التعريف وغيره مما يدخل في معناه جعل المسدي يعد الإعراب أداة لسانية تساهم مساهمة فعالة في وصف وظائف مكونات الجملة وتفسيرها " ونقصد هنا الإعراب الذي يسم أواخر مكونات الجملة التي تقوم بوظائف تركيبية ودلالية كبرى"³⁹. فالمسدي لم يكن من اللسانيين الذين جحدوا ظاهرة الإعراب وعدم ارتباطها بالعربية ، فلقد ألف كتاباً سماه (العربية والإعراب) ، وفي هذا الكتاب يتناول مسائل كثيرة تتعلق بالإعراب وإنتاج الدلالة والفرق بين اللغات الإعرابية واللغات غير الإعرابية.

إن الإعراب حسب المسدي - شديد الارتباط بالمعنى الوظيفي، فهو كعاداته وفي لفلسفته في تناول القضايا اللغوية، وهي أن يجعل المعنى المركز الذي تدور في محيطه دراسة اللغة "لأن الألفاظ نستدل بها على سلامة التركيب بما أننا منه نحصل المراد، والتركيب نستدل به على معنى الألفاظ بما أن السياق هو الذي يتيح لنا"⁴⁰. فيكفي أن تعلم أن وظيفة الكلمة في السياق لتدعي أنك أعربتها إعراباً صحيحاً.

لقد كانت نتيجة إيمان المسدي بهذه العلاقة الوظيفية بين الإعراب والمعنى أن عد الإعراب هو الكشف عن الظواهر السياقية فهو يرى أن النحاة العرب " لما رأوا تغير الدلالة بتغير حركات الكلمات اصطالحوا على تسميته إعراباً"⁴¹.

لقد حاول المسدي أن يؤصل لظاهرة الإعراب في التراث اللغوي العربي ، ولقد بين بأن للإعراب بعد تركيبى عند الجرجاني تمثل في جودة التأليف والنظم " فالنظم بالمصطلح الذي اشتقه له صاحب الأسرار والإعجاز بالمفهوم الذي أفرغه في قالبه . يرتد إلى النحو قبل أن يرتد إلى البلاغة

فإن رمنا الوفاء للنسق الفكري الذي اختطه له صاحبه والامتثال إلى المعمار المنهجي الذي سواه له ،تعين علينا القول :إنه سؤال البلاغة ينعطف على سؤال النحو من خلال سؤال المعنى⁴² ، فالتقاء العامل مثلا سواء كان لفظيا أو معنويا بالمعمول في تركيب انسجمت ألفاظه وتضامت يعطينا حكما إعرابيا دقيقا يحمل المعنى المقصود ويدل عليه يقول الجرجاني:"لا يقوم في وهم ولا يصح في غفل أن يتفكر في معنى اسم من غير أن يريد أعمال فعل فيه وجعله فاعلا له ، أو مفعولا ، أو يريد منه حكما سوى ذلك من الأحكام مثل أن يريد جعله مبتدأ أو خبر أو صفة أو حالا أو ما شاكل ذلك"⁴³ ،ونلفيه في هذا السياق وهو يتحدث عن النحو بقوله:" إن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها ، وأن الأغراض كامنة فيه حتى يكون هو المستخرج له ، وأنه المعيار الذي لا يتبين نقصان الكلام ، ورجحانه حتى يعرض عليه والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى إليه ولا ينكر ذلك إلا من ينكر حسه وإلا من غالط في الحقائق نفسه"⁴⁴ ، فالوظيفة الدلالة للحركات الإعرابية تتمثل في المعنى فهي تؤدي دورا كبيرا في المعنى ، لا تقل قيمته عن قيمة أصوات الكلمة ، أو حروفها في تحقيق معنى الجملة الدلالي ، وقد أكد هذه الحقيقة العديد من علماء اللسانيين العرب المعاصرين من أمثال صبيح الصالح ومازن الوعر ، ورمضان عبد التواب ، محمد حماسة عبد اللطيف .

إن الجرجاني يعد من أكثر العلماء اهتماما للعلاقة القائمة بين النحو والمعنى ، وهذا ما لمسناه من خلال نظريته المشهورة بالنظم "فلقد ذهب إلى أن صحة الكلام ، وسلامة التركيب تمثل المرحلة الأولى ، وتلها المرحلة الثانية التي تتمثل في استبطاء المعنى وإدراك الأغراض الكامنة في التركيب ، وهي ما عبر عنه بالمعاني الثواني المستخلصة من الكلام ، وعلى هذا كان تركيزه على ما تحمله التراكيب والأساليب من الدلالات والمعاني والأغراض وهذا ما أغفله كثير من النحاة المتأخرين"⁴⁵ .

ونبصر عن جنب بأن للإعراب مفهوما تداوليا عند عبد السلام المسدي ، يتخطى القرائن الشكلية؛لصلته بالعلاقات النحوية التركيبية ، وهذا المنحى الوظيفي في رأيه " تنصاع فيه أجزاء الملفوظات لنسق البناء التركيبي وهي الصورة الحسية المثلى لإكمال جنين الدلالة ، وما الإفضاء به إلا إعلان عن ميلاد المعنى"⁴⁶ .

ولا ينأى عن خاطر أن الإعراب ذو بعد حسي يتمثل في الحركات وآخر معنوي وهو " التغيير الحاصل بهذه الحركات التي شكلت أداة ربط كشفت عن طبيعة العلاقة بين الألفاظ والإعراب ، ولا يكون إلا انبثاق المعنى بعد تشكله في دلالة الخطاب"⁴⁷ .

ومن القضايا المهمة التي طرحها الكاتب في هذا الكتاب ما تعرض إليه في هذا الفصل، حيث وضع الفرق بين تركيب الألفاظ في اللغات الإعرابية و غير الإعرابية فيقول: "و إنما نعني بالصورة التي يتم بها اللحام بين الألفاظ حين ترتصف في الخطاب وهذه على ضربين لا غير: فإما أن آلية اللغة تعتمد في ذلك توفير أدوات لفظية يتم بها ربط الكلمات بعضها ببعض ولا سيما عند الإبلاغ بالخبر. وإما أن تتجاوز عن ذلك فلا تصرح بالرابطة معتمدة على تغير أواخر الكلمات الذي يصبح هو ذاته قرينة كاشفة لطبيعة العلاقة الحادثة بين الألفاظ"⁴⁸.

إذن فلكل لغة من اللغات نظامها الخاص بها، فمنها ما يعتمد على الأدوات اللفظية للربط بين الكلمات ومنها ما يكون سلبية إلى ذلك الإعراب.

ويلفت المسدي الانتباه إلى أهمية النحو في الكشف عن الدلالة فيقول في هذا السياق: "وكل ما سلف يوقفنا مرة أخرى على أن الدلالة ليست في الألفاظ وليست في مجرد التركيب، وإنما هي في آليات الارتباط الحادثة بين الألفاظ عندما تتوالى في الكلام تواليًا نسقيًا، وليس من مرجع في ذلك إلا النحو. فهو المقياس الضابط لسلامة البناء من حيث هو الضامن لبلوغ المعنى"⁴⁹.

إن رأي المسدي هذا يوافق ما ذهب إليه الجرجاني عندما عد التوافق بين العلامات الإعرابية والمعاني جزءًا هامًا من فصاحة الكلام، فلا مرأ أن الجرجاني من علماء البلاغة الذين ربطوا بين إعجاز القرآن ونظمه، وبين الترابط التلفظي القائم على ربط الألفاظ بعضها ببعض ربطًا معياريًا، ذلك أن الفصاحة لا تكمن في الألفاظ المفردة، وإنما في العلاقات التجاورية التي تحكمها أو فيما جاورها من الألفاظ يقول أحمد سليمان ياقوت رابطًا بين نظرية النظم ومعاني النحو عند الجرجاني: "إن السمة البارزة والعلامة المميزة لأبحاث عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) في البلاغة، أنه ربط بينهما وبين النحو فيما يعرف عنه بنظرية النظم فالنحو عنده ليس مجرد قواعد نحوية يعرف بها المرفوع والمنصوب أو يميز بواسطتها المعرب من المبني بل إن المعاني النحوية لترتبط ارتباطًا كبيرًا بنظرية النظم عنده إن لم تكن هي نفسها من حيث تعليق كل كلمة بما يجاورها من الكلمات"⁵⁰، "ومن الحقائق المقررة في الدرس النحوي أن النحو. بما هو درس للتركيب أو الجملة. إنما يدرس المعاني النحوية وليس المعاني المعجمية؛ أي أنه يدرس معاني الأشكال ذاتها أو المعاني التي تؤدي إليها البنية اللغوية والعلاقات التي تمثلها العناصر التي تتركب معًا في الكلام"⁵¹.

إن هذا المعنى بهذا هو نتيجة التفاعل بين معنى الألفاظ من ناحية، ومعاني النحو التي أقامها المتكلم بين هذه الألفاظ من ناحية أخرى، والمعنى يكتسب من ترتيب الكلمات على طريقة مخصوصة وحصولها على صورة من التأليف مخصوص، ومن خلال هذا التقسيم التركيبي

الذي يمزج فيه بين المستوى النحوي والمستوى الدلالي نستطيع أن نتبين أهمية العلاقة بين المفردات داخل التركيب من جانبيين.⁵²

أولهما: جانب اختيار المفردات بحسب دلالتها المعجمية لما لها من قيمة في المعنى الدلالي، فعندما يساء اختيار الكلمة المناسبة يختل التعبير ويفسد المعنى نحو (أتيتك غدا) و (سأتيك أمس) وهو ما عبر عنه سيبويه بالكلام المحال.

ثانيهما: جانب اختيار موضع الكلمة للدلالة على معنى معين، فإذا لم يحسن اختيارها فسد المعنى، وهو ما عبر عنه سيبويه بالكلام المستقيم القبيح كقولنا: قد زيدا رأيت، فلو قلنا: قد رأيت زيدا بتقديم الفعل رأيت وتأخير المفعول به (زيدا) لاستقام المعنى، لأن الفعل يأتي على إثر حرف التحقق (قد) ولا يجوز الفصل بينهما.

فالحديث عن مفهوم الاستقامة في الكلام عند سيبويه، أمر أفرزته اللسانيات المعاصرة وخصوصا التوليدية منها، "فسيبويه بحث في أصولية الجملة من حيث كونها صحيحة نحويا وتركيبيا وهذا أصل من أصول التي دعت إليها النظرية التوليدية التحويلية في بداياتها الأولى فتشومسكي دعا إلى أن تكون الجملة المنجزة صحيحة نحويا تخضع للحدس عند ابن اللغة وإن لم تكن صحيحة دلاليا، فالتركيز هنا على الجانب النحوي التركيبي بعيدا عن الجانب الدلالي، غير أننا لا نستطيع أن نعزل التركيب عن الدلالة فهما وجهان لعملة واحدة فالهدف من الكلام أو الجملة هو الإفهام"⁵³، وهذا ما اتفق عليه جل علماء العربية عندما قدموا تعريفا للكلام أو الجملة، وهو الموقف الذي تبناه علماء اللغة المعاصرون ومنهم عبد السلام المسدي فقد اشترط الإفهام في التركيب اللغوي: أي عدم عزل التركيب عن الدلالة، وبين أهمية النحو في الكشف عن الدلالة. فالدرس اللغوي لا يتفق مع النظرية التوليدية التحويلية في فصل المعنى عن نظام التراكيب، ولكنه يوافقها في أن نظام الجملة قد يكون موافقا لنظام العرب في كلامها: أي تكون الجملة صحيحة قواعديا كما تقول النظرية التوليدية، ولكنها غير صحيحة من ناحية المعنى"⁵⁴، فالنظرية التوليدية التحويلية تعتمد في حكمها على نحوية الجمل على القواعد الكلية التي يدركها المتكلم والسامع المثالي، ويوضح تشومسكي ذلك من خلال المثالين الآتيين اللذين يكشفان صحة الجملة من عدمها.⁵⁵

1 colorless green ideas sleep furiously

(الأفكار الخضراء التي لا لون لها تنام بشدة)

2 furiously sleep ideas green colorless

بشدة تنام الأفكار الخضراء التي لا لون لها)

فالجملّة الأولى يدركه السامع المثالي الإنجليزي بأنها بلا معنى، ولكنها تنتظم قواعديا، ويدرك المثال الثاني جملة بلا معنى ولا انتظام في مفرداتها طبقا لقواعد النحو الإنجليزي، فليست جملة نحوية.

وهذا ما دفع تشومسكي إلى القول إلى أن أي بحث عن تعريف القواعدية يعتمد الدلالة يكون عقيما، "غير أنه يعود عن هذه الفكرة في نظريته المعيارية أو النموذجية، إذ نجده يدخل العنصر الدلالي للعملية اللغوية"⁵⁶، وهذا ما نادى به علماء التراث، وهو ما يتوافق وعلماء اللغة المعاصرين؛ كالمسدي.

الخاتمة:

لقد تمخضت هذه الدراسة عن نظرة تأصيلية كشفت عن نتائج يمكن إجمالها على النحو الآتي:

- تعامل المسدي مع التراث وفق أحدث النظريات اللغوية الحديثة، بمعنى أنه عمل على وصل التراث بالحدثة فتنقيبه في التراث جعله حيا جديدا، وموصول بما هو حديث.
- إن منهج المسدي في بحثه اللساني، هو ما يعرف بمنهج القراءة، أو إعادة القراءة للتراث النحوي العربي بكل ثقله المعرفي والمنهجي، وفق ما تقتضيه الآليات اللسانية الحديثة، ثم إقامة المقارنات بين المعنيين، التراثي النحوي العربي واللساني الغربي، لكشف مواطن اتفاق والاختلاف بينهما وبالتالي البرهنة على أصالة الفكر اللغوي العربي وتميزه.
- لقد حاول المسدي في كتاباته أن يرد الحق إلى أهله من خلال إبراز إسهامات علماء العرب القدماء في علوم اللغة بصفة عامة والنحو بصفة خاصة، وبيان تأثيرهم في آراء العلماء الغربيين الذين طالما زعموا أن النظريات اللغوية من تأليفهم وبناء أفكارهم.
- إن الأساس الثنائي لتقسيم البنية إلى سطحية وعميقة كان موجودا في التراث اللغوي العربي القديم، فالنحاة العرب شأنهم، شأن التوليديين الغربيين، لا يقفون عند الظواهر السطحية للغة؛ أي عند الواقع المحسوس، وإنما يفترضون وجود أبنية مجردة يفسرون في ضوءها ظواهر اللغة، فعلى الرغم أنهم لم يستعملوا (العميق، والسطحي) فإن ذلك لا ينفي حضورهما الذهني الواضح في معالجة القدماء للتركيب

فقد كان التعبير عنها ضمنيا وبطرائق مختلفة، تصب كلها في قضية أخذت بعدا كبيرا عندهم وهي مسألة التقدير والتأويل.

- إن المنحى الوظيفي الذي تبنته النظرية الوظيفية كان له حضورا في التراث اللغوي العربي القديم، فالوظائف الستة للغة التي حددها جاكبسون قد اهتمت إليه العرب من قبل، وتمثل ذلك في تراث الجاحظ الفكري.
- كان التلاقي الفكري بين النظرية التوليدية التحويلية والفكر اللغوي العربي واضحا عند المسدي يتجسد في الأسس التي انطلق منها، والمعايير التي اعتمدها، فأثبت ذلك سبق الفكر العربي في إنارة الفكر اللساني الغربي، وهو ما اعترف به تشومسكي في حوار أجراه مع الدكتور مازن الوعر يشيد فيه بأعمال جهابذة النحو العربي: كالخليل وسيبويه وابن جني... الخ.

الهوامش

- ¹ عبد السلام المسدي، العربية والإعراب، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، 2010، ص:5.
- ² عبد الله الجهاد، النحو العربي واللسانيات تقاطع أم توازن ط1، 2016، ص:323.322.
- ³ عبد السلام المسدي، مباحث تأسيسية في اللسانيات ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2010، ص:10.
- ⁴ مبارك حانون، مدخل للسانيات سوسير، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ص:05.
- ⁵ عبد القادر الفاسي الفهري، ملاحظات أولى عن تطور البحث اللساني بالمغرب "ندوة" اللغة العربية والنظريات اللسانية، كلية الآداب، فاس، سايس، 2007، نقلا عن: عبد الغني قبائلي، أثر اللسانيات الغربية على اللسانيات العربية، التفسيرية عينة، ص:52.
- ⁶ عبد السلام المسدي، حد اللغة في التراث اللساني العربي، ص:396.
- ⁷ عبد السلام المسدي، مباحث تأسيسية في اللسانيات، ص:19.
- ⁸ عبد السلام المسدي، حد اللغة في التراث اللساني العربي، مقال منشور في وقائع ندوة جهوية بعنوان: تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، أبريل 1987، الرباط، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1991، ص:395.
- ⁹ ينظر: مرتضى جواد بقر، مفهوم البنية العميقة بين تشومسكي والدرس النحوي العربي مجلة اللسان العربي ع34، 1990، ص:07.
- ¹⁰ خليل أحمد عمارة، في نحو اللغة العربية وتراكيبها منهج وتطبيق، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، ط1، 1404، هـ 1984، ص:58.

- ¹¹ عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص:33.
- ¹² عبد السلام المسدي، العربية والإعراب، ص:141.
- ¹³ ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، المؤسسة الجامعية، بيروت 1982، ص:164.
- ¹⁴ المرجع نفسه، ص:164.
- ¹⁵ ينظر: نعمة رحيم الغراوي، مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة، منشورات المجمع العلمي العراقي مطبعة المجمع، 1421هـ/2001 ص:195.
- ¹⁶ المرجع نفسه، ص:308.
- ¹⁷ للمزيد عن البنية العميقة والسطحية، انظر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، مدخل: مازن الوعر، دمشق، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، 1988، ص:361-359.
- ¹⁸ عبد السلام المسدي، العربية والإعراب، ص:142.
- ¹⁹ سورة مريم، الآية: 04.
- ²⁰ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص:73.
- ²¹ عبد السلام المسدي، العربية والإعراب، ص:159.
- ²² خالد خليل هويدي، التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث، الأصول والاتجاهات، دار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 1433هـ/2012م، ص:262، 263.
- ²³ عبد السلام المسدي، العربية والإعراب، ص:159.
- ²⁴ الجاحظ، البيان والتبيين، قدم له وبوبه وشرحه: علي بوملحم، دار مكتبة الهلال، بيروت 1/2002، 34.
- ²⁵ المرجع نفسه، 34/1.
- ²⁶ المرجع نفسه، 112/1.
- ²⁷ المرجع السابق، 89/1.
- ²⁸ محمد سلامة، محمد غباري والسيد عبد الحميد عطية، الاتصال ووسائله بين النظرية والتطبيق، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية 1991، ص:59.
- ²⁹ عبد السلام المسدي، العربية والإعراب، ص:159.
- ³⁰ يوسف أبو العدوس، الأسلوبية (الرؤية والتطبيق)، دار المسير للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1427، 2007، ص:127.
- ³¹ ينظر: فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون (دراسة ونصوص)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1413هـ/1994، ص:65.
- ³² حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد المتحدة ليبيا، ط1، 2009، ص:343.
- ³³ ابن جني، الخصائص، 44/1.
- ³⁴ ينظر: مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب العربية، مكتبة لبنان، ناشرون، الشركة المصرية العالمية لونيما، ط1، 1997، ص:13.

- ³⁵ الحسن عبد الله بن سهل العسكري، كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، تح: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط1، 1971، ص: 23.
- ³⁶ الجاحظ، البيان والتبيين، 76/1.
- ³⁷ ينظر: البيان والتبيين، الجاحظ، ج1، ص: 14.
- ³⁸ ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، 35/1.
- ³⁹ عبد العزيز العماري، أدوات الوصف والتفسير اللسانية، سلسلة من النحو إلى اللسانيات، 2015، ص: 152.
- ⁴⁰ عبد السلام المسدي، العربية والإعراب، ص: 47.
- ⁴¹ عبد السلام المسدي، العربية والإعراب، ص: 48.
- ⁴² عبد السلام المسدي، العربية والإعراب، ص: 48.
- ⁴³ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: التنجي، دار الكتاب العربية، بيروت، ط1، 1995، ص: 303.
- ⁴⁴ المرجع نفسه، ص: 304.
- ⁴⁵ سامي عوض، ظاهرة الإعراب وموقف علماء العربية قدامى ومحدثين، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 34، العدد 2، 2010، ص: 21.
- ⁴⁶ عبد السلام المسدي، العربية والإعراب، ص: 48.
- ⁴⁷ المرجع نفسه، ص: 48، بتصرف.
- ⁴⁸ المرجع نفسه، ص: 49.
- ⁴⁹ المرجع نفسه، ص: 50.
- ⁵⁰ أحمد سليمان ياقوت، دراسات نحوية في خصائص ابن جني، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1410 هـ.
- ⁵¹ 1990 م، ص: 199.
- ⁵² عبده الراجعي، فقه اللغة في الكتب العربية، ص: 162.
- ⁵³ سامي عوض، ظاهرة الإعراب وموقف علماء العربية قدامى ومحدثين، ص: 19.
- ⁵⁴ حمزة أحمد الخلايفة، جهود كل من داود عبده وميشال زكرياء في المدرسة التوليديّة العربية، رسالة دكتوراه، جامعة مؤتة، عمادة الدراسات العليا، الأردن، 2013، ص: 222.
- ⁵⁵ النعيمي، حسام سعيد، ابن جني عالم العربية، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام الجمهورية العراقية، ط1، 1990، ص: 174.
- ⁵⁶ تشومسكي، البنى النحوية، تر: أييل يوسف عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط1، ص: 19.
- ⁵⁷ مازن الوعر، نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، دار طلاس دمشق، 1987، ص: 59، 60.